« إنه يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين ».

هكذا أطلق الإمام الخميني يــوم القـدس العــــالميّ

خَقيق: أحمد رستم



من مراسم يوم القدس العالمي في لبنان

«فلسطين، فلسطين، سنتحدّ، ونقتلع جذور إسرائيل معاً».

هذه ترجمة أحد الشّعارات التي ردّدتها حشود المتظاهرين في شوارع طهران بعد أيّام من انتصار الثّورة الإسلامية في إيران. وفي الرّابع عشر من شباط 1979م، أي بعد ثلاثة أيّام من انتصار الثورة، قال موشّي دايان وزير خارجيّة الكيان الغاصب: «الثورة الإيرانيّة بمثابة زلزال ستعيش إسرائيل تداعياته عمّا قريب».

وفي التاسع عشر من شباط، توقّفت الصادرات النفطيّة الإيرانيّة إلى الكيان الصهيوني، وأُغلقت سفارته في طهران بعد فرار موظّفيها، وتحوّل المبنى الذي كانت تشغله إلى مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينيّة، وقد تولّى الإعلان عن ذلك السيد أحمد الخميني، نجل الإمام الخميني، قائد الثورة الفتيّة.

في السادس والعشرين من آذار من العام نفسه، أطلق الإمام الخميني حملة واسعة النطاق لإدانة الكيان الصهيوني، ولم يكن يمر أسبوع إلا ويخرج قائد الثورة بخطاب أو تصريح يُهاجم فيه الكيان الغاصب، من غير مواربة ولا تشذيب أو انتقاء للكلمات والمصطلحات، حتى بدا أنّه يخوض مواجهة مفتوحة لا رجعة فيها ضد «الدولة العبريّة». وقد بلغت هذه الحملة ذروتها يوم الثامن من شهر آب سنة 1979م، مع دعوته إلى اعتبار يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان المبارك يوماً عالمياً للقدس الشريف.

«لماذا»؟ لم يُفارق هذا التّساؤل أذهان المراقبين، لماذا يستعجل آية الله الجهر بمعاداته للصهاينة، ولمّا تستتبّ له أوضاع الدّاخل بالكامل؟ أليس حريّاً به أنْ يصرف الجهد والوقت لتثبيت دعائم ثورته، قبل إعلان الحرب على الصهاينة الذين اجتاحوا سياسيّاً بالأمس القريب العالم العربيّ من بوابة «أمّ الدنيا»؟!

حقاً، لماذا؟

8

قراءة في أبعاد الإعلان

لا نقاش في أنَّ من أبرز نتائج الحرب العالميَّة الأولِي إنهيار الخلافة العثمانيّة بما هي رمزٌ لوحدة الأمّة الإسلاميّة وخلاصةٌ مشروعها، على الرّغم من كلّ السلبيات التي اعترت تجربتها. بعد انهيار الخلافة العثمانيّة، فقد المسلمون قطبهم الجامع، وزاد الأمر سوءاً مع تحوّل الكيان الإسلامي الواحد إلى دول وأقطار تفصل بينها حدود، ولكلِّ منها تشريعاتها وتطلُّعاتهاً الخاصة بها. وقد تكرّس هذا الأمر قبيل انتهاء الحرب العالميّة الثانيّة وبعدها، حيث باتت الكيانات الإسلاميّة المستحدثة ـ والعربيّة منها بالتّحديد ـ تنال «استقلالاتها» بالجملة. وقد كانت كلفة هذا الإستقلال هيّنة يسيرة وفق مقاييس المهجّنين الطامحين إلى الحكم. كانت الكلفة تقتصر على تعهّدٍ من قبل «المستقلّين» بضمان تدفّق «النّفط» إلى المصانع الغربيّة والأميركيّة منها بالتّحديد، أو تعهّد بإلحاق شعوبهم بإحدى القوّتين الإِستعماريّتين اللّتين أفرزتهما نتائج الحرب العالمية الثانية، وقامتا على أنقاض مئات الآلاف من المقابر الجماعيّة في أرجاء المعمورة، وأشهرها على الإطلاق مقابر عشرات الآلاف من المدنيّين اليابانييّن الذين أُبيدوا بالقنبلة الذريّة، مفخرة الصناعات العلميّة! في الولايات المتحدة الأميركيّة. لكنّ الضرر ـ على فداحته ـ لم يقتصر على ذلك، إذ إنّ قلب العالم الإِسلامي كان قد شهد بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر، أيّام احتضار الإمبراطوريّة العثمانيّة، موجةٌ من الأفكار الإلحادية الغريبة عن تعاليم الإسلام، والتي لا تعدو كونها حركة استنساخ أو ترجمة ركيكة في أغلب الأحيان للنتاج « الفكري » الغرِّبي ، فأصبحت الأمّة الواحدة أمماً شتّى ، شكلاً ومضموناً، تتنازعها أفكار متناقضة إلا من حيث كونها جميعاً تتسمّ بالسطحيّة المغلّفة بزخرف القول، ليُصبح العالم الإسلامي ـ مع تضافر هذه الخيبات ـ أشبه بمهرجان من

هذا التردّي المتواصل منذ نصف قرن على أقل تقدير، كان له أن يُعبّر عن نفسه تعبيراً قاسيًا فجّاً ومرعباً، تعبيراً حسيًا ملموساً ومرئيّاً بمثابة شاهد دائم على تخلّف الأمّة التي أُريد لها أن تكون رائدة نظيراتها في تحقيق السّعادة البشريّة، فإذا بها تقف عاجزةً حيال قيام الكيان الغاصب في قلب حيّزها الجغرافي، وفوق واحدة من أقدس بقاعها.

لم تكن «إسرائيل» نتاج العبقريّة الغربيّة ودهائها، قدر ما كانت نتاج عجز المسلمين وضعفهم المذهل.

ثورة الإمام الخمينى الإصلاحيّة

إذا استحضرنا ما سلف، أمكننا أن ندرك أهميّة ما أنجزه الإمام الخميني، فقد أدرك الإمام أنّ منشأ مصائب المسلمين يكمن في تشتّهم، ورأى أنّ الحدود السياسيّة، وتعدّد مصالح



..في كانو - نيجيريا

المسلمين تبعاً لأقطارهم وأعراقهم، وتفرُّقُ السّبل العقائديّة والفكريّة بهم عن السبيل السويّ، كلّها أسهمت في هذا التشتّت، فضلاً عن عدم تصدي المؤسّسة الدينية الإسلاميّة ـ الوريث الشرعي المفترض للرّسالة النبويّة ـ للشأن السياسي، أو تصدّي بعض رجالاتها للشأن السياسي دون أن تكتمل الشروط الموضوعيّة لدرء الخطر المحدق، كلّ ذلك أسهم أيضاً في تشتّت المسلمين وفي خيباتهم.

وعليه، فإِنّ فرادة ما اجترحه الإمام الخميني يتجلّى في ثلاث نقاط أساسية:

1. تشخيص مكمن المشكل بشكل منهجي، فالمشكل عنده هو تفرق المسلمين وركونهم إليه، ما مكن الأعداء من تحقيق غاياتهم.

في تصريح له يوم 16 آب 1979م، يقول رضوان الله عليه: «ثمّة أمر يحيّرني وهو أنَّ الدّول الإسلاميّة والشعوب المسلمة تشخّص الدّاء جيداً، وتعلم أنَّ للأجانب دوراً كبيراً في إشاعة التّفرقة بينهم، كما أنّها تدرك أنّ نتيجة هذه التّفرقة ليس غير ضعفهم وزوالهم، وهي ترى أنَّ دولةً خاويةً كإسرائيل تقف في مقابل المسلمين الذين لو اجتمعوا وصبَّ كلّ واحد منهم دلواً من الماء عليها جَرفها السّيل، ولكنّهم مع ذلك يقفون عاجزين أمامها».

وفي السابع عشر من أيار سنة 1978م، أي قبل انتصار الثورة الإسلاميّة، يقول قدّس سرّه: «منذ ما يقارب العشرين عاماً وأنا أوصي البلدان العربيّة بالوحدة والقضاء على جرثومة الفساد هذه، فإذا ما توفّرت لإسرائيل القدرة لن تكتفي ببيت المقدس، وممّا يؤسف له أنَّ النّصيحة لا تجدي مع هؤلاء... إنني أسال الله أن يوقظ المسلمين».

2. التركيز على العنوان الرمز لوحدة المسلمين، وقطبِهم الجامع الذي عليه تدور تطلّعاتهم وآمالهم، وبه تقاس حركتهم وأداؤهم، فما اتّفق مع هذا القطب كان مباركاً محموداً، وما اختلف معه كان خبيثاً منبوذاً. وقد رأى الإمام أنّ القضيّة الفلسطينيّة، وتحديداً قضيّة القدس

MINI





الشريف، هي قضيّة المسلمين والمستضعفين الأولى، والعنوان الجامع للمسلمين وسائر المستضعفين حيثما وُ جدوا.

وقد جاء الإعلان عن هذا العنوان الجامع على لسان الإمام الخميني يوم الثامن من آب سنة 1979م: «أدعو مسلمي العالم كافَّة إلى إعلان آخر جمعة من شهر رمضان المباركُ التي هي من أيام القدر ، يوماً للقدس ، وأن يُعبّروا من خلال إحياء هذا اليوم عن تضامن المسلمين العالمي في الدفاع عن الحقوق القانونيّة للشعب الفلسطيني المسلم».

وفي نصِّ آخر يوضح حجم الأهميّة التي كان يوليها قائد الثورة لقضيّة القدس والبعد الحضاريّ فيها، يقول رضوان الله عليه: «يوم القدس يوم عالمي، ليس فقط يوماً خاصًا بالقدس، إنّه يوم انتفاضة المستضعفين ضد المستكبرين. إنّه يوم مواجهة الشعوب التي عانت من ظلم أميركا وغيرها، وإنه اليوم الذي سيكون أساس التّمييز بين المنافقين والمؤمنين، فالمؤمنون يعتبرون هذا اليوم يوماً للقدس، ويؤدّون ما عليهم، أمّا المنافقون، هؤلاء الذين يُقيمون

> العلاقات مع القوى الكبرى خلف الكواليس، والذين هم أصدقاء لإسرائيل، فإنّهم في هذا اليوم غير آبهين، أو أنّهم يمنعون الشعوب من إقامة التّظاهرات». إلى ذلك، اعتبر الإِمام الخمينيّ يوم القدس يوماً يجب أن تتحدّد فيه مصائر الشعوب المستضعفة، ويوماً يجب

أن تُعلن فيه الشعوب المستضعفة عن وجودها في مقابل

وهو كما رآه سماحته أيضاً: «يوم إحياء الاسلام ويوم حياته،

حيث يجب أن يصحو المسلمون، وأن يُدركوا مدى القدرة التي يمتلكونها، سواءً الماديّة منها أم المعنويّة».

وقد مرّت على دعوة الإمام لإحياء يوم القدس سنواتُ طوالٌ عجاف، تداعت كلّ قوى الإستعمار وعملائها خلالها إلى طمس نداء الإمام والتّعتيم عليه، وكانت ظروف الحرب الكونيّة التي فُرضت على الجمهوريّة الإسلامية باسم العراق وعبره بقيادة الطّاغية صدام، ظروفاً بالغة الحرج والمعاناة، إلى حدّ الله أنّ أكثر المؤيّدين لنداء الإمام حول يوم القدس كانوا يتصوّرون أنّ النّداء ليس إلا تسجيل موقف في سياق محكوم بالفشل سلفاً!

في بدايات إعلان يوم القدس، كان الأمر يقتصر على حملة إعلاميّة مركّزة في الصحافة

الإيرانيّة، وعلى مسمّى مؤتمر متواضع في طهران، وبعض التّعابير الضّعيفة عن الإِحتفاء بهذا اليوم، في النّزر القليل من البلاد الإسلاميّة، ثمّ بدأ التعامل مع يوم القدس يتّخذ منحيّ تدريجيّاً تصاعدياً ولكن ببطء شديد.

* المقاومة ويوم القدس:

وقد شكل تصاعد عمليات المقاومة الإسلاميّة في لبنان، ثمّ في فلسطين، المناخ الملائم لتصاعد غير مسبوق في وتيرة إحياء يوم القدس، فاستجاب عشرات الملايين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي لهذه الدّعوة، وباتت الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، تشهد في كلّ عام، تظاهرات حاشدة في عدد كبير من الدُّول الإسلاميّة والغربيّة ينظّمها المسلمون المقيمون فيها، تهتف للقدس وتدعو لتحريرها في مشهد يكرّس الوحدة الإسلامية التي أرادها رضوان الله عليه، ويُبقى القدس حاضرةً في عقول المسلمين وفي توجّهاتهم، وتطلّعهم

إلى تحريرها، وهو أيضاً ما رمي إليه الإمام العظيم من خلال الدّعوة إلى يوم القدس العالميّ. وتأكيدا للمكانة التي أرادها الامام الخميني قدّس سره ليوم القدس العالميّ، فإنّ الإِمام القائد السيد على الخامنئي، يشدد دوماً على إحياء هذا اليوم، مؤكداً أنَّ فلسطين ستعود

للفلسطينيّين عاجلاً أم آجلاً. ويعتبر سماحته أنّ «يوم القدس العالمي هو اليوم الذي يجب أن تنهض فيه الأمّة الاسلاميّة الكبرى للتّضامن مع الشعب الفلسطيني المظلوم، وهو يوم تجديد العهد

10

يقول الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«على "الشرق" أن يصحو، ويفصل مصيره عن

الغرب قدر استطاعته ، وإذا استطاع أن يفعل ذلك ،

فعليه أن يواصل الإصرار على ذلك حتى النّهاية،

أمّا إذا لم يُكنه ذلكُ الآن ، فعليه أن يسعى لتحقيق

ذلك عقدار ما يتمكن ، ليُنقذ ثقافته على الأقل».

أنن أن

والميثاق مع القضية الفلسطينية». لافتاً إلى أنّ «يوم القدس، وهو آخر جمعة من شهر رمضان المبارك، يخلق للعالم الإسلاميّ ملحمة جديدة، ووعياً ظاهراً، وأنّ الأمّة الإسلاميّة الكبرى دخلت مرحلة جديدة ببركة يقظتها، حيث أدّى هذا الوعي إلى إفشال مؤامرات الاستكبار الأميركيّ في خططه الشرق أوسطيّة».

3. لم يكتف الإمام الخميني رضوان الله عليه بالدعوة إلى إحياء يوم القدس، أو الحديث عن الخطر الصهيوني والإستعماري، فقد كان نداء الإمام حول القدس وتعيين يوم عالمي لها في سياق خطة عملية شاملة، تتجلّى في النقاط التالية:

أ- اعتبار القرن الخامس عشر الهجريّ قرن انتصار الستضعفين.

يقول الإمام:

«على "الشرق" أن يصحو، ويفصل مصيره عن الغرب قدر استطاعته، وإذا استطاع أن يفعل ذلك، فعليه أن يواصل الإصرار على ذلك حتى النّهاية، أمّا إذا لم يُمكنه ذلك الآن، فعليه أن يسعى لتحقيق ذلك بقدار ما يتمكّن، ليُنقذ ثقافته على الأقل». ويقول أيضاً:

«إنّني آمل أن تكون هذه التّعبئة الإسلاميّة العامّة أنموذجاً لكلّ الشعوب الإسلاميّة والمستضعفين في العالم، وأن يكون القرن الخامس عشر الهجريّ قرن تحطيم الأصنام الكبرى، وإحلال الإسلام والتوحيد محلّ الشُّرك والزّندقة، والعدلَ والإنصافَ محلّ الظلم والعدوان، وقرنَ البشر الملتزمين لا المتوحّشين الجهلة».

ب- التّركيز على مبدأ الوحدة بين المسلمين.

يقول رضوان الله عليه:

* «لقد أكّدت مراراً، بأنّ النّعرات القوميّة هي أساس مصيبة



...و في بريطانيا

المسلمين، إذ إن هذه النّعرات تجعل الشعب الإيراني مقابل سائر الشعوب المسلمة ".." وهذه مخطّطات طرحها المستكبرون للتّفريق بين المسلمين».

* «يجب على الشعوب أن تعود إلى صدر الإسلام "..." إنّنا سنقوم بدورنا المطلوب عندما يكون تفكيرنا إسلاميّا، ونتمسك بالقرآن الكريم ونعمل بتعاليم صدر الإسلام».

ت- «إسرائيل» غدةً سرطانية:

* «إِنّني أرى أنّ تأييد مشروع قيام إسرائيل، والاعتراف بحدود لها، فاجعة بالنّسبة للمسلمين وكارثة بالنسبة للدول الإسلاميّة».

* «إسرائيل مرفوضة عندنا "..." لن نعترف بها مطلقاً».

* «لن تكون لنا علاقات مع إسرائيل لأنها غاصبة ومحاربة للمسلمين».

* «إسرائيل غدّة سرطانيّة... يجب أن تُستأصل من الجذور».

ث- حرمة التّهاون حيال خطر «إسرائيل» فضلاً عن التواصل والتعامل معها:

* «إنّ إسرائيل تُعتبر بنظر الإسلام والمسلمين وكلّ الموازين الدّولية غاصبة ومعتدية، ونحن نرى أنّ من غير الجائز التّهاون والتّساهل في الوقوف بوجه اعتداءاتها».

ج- توعية الأمّة واستنهاضها:

يقول الإمام الخمينيّ في نداء له بمناسبة يوم



...و في إندونيسيا



...و في باكستان

القدس العالميّ في الأول من آب عام 1981م:

«يجب أن يكون عملنا منصبّاً في تعريف الشعوب ـ حيثما كانوا - بواجبهم المحدّد، فإذا رغب علماء البلاد الإسلاميّة في إيجاد حلّ لمشكلة الإسلام والدول الإسلامية، فإنّ عليهم أن يوقظوا أبناء الأمّة. هذه الأمّة التي ركّزوا في ذهنها خلال سنوات طويلة الإعتقاد بعدم إمكان معارضة أميركا أو الاتحاد السوفياتي، وما زالت هذه الدّعاية راسخة في الأذهان. يجب على الأشخاص الموجودين في البلاد الإسلامية _أولئك المعتقدين بالإسلام، والذين تنبض قلوبهم من أجل شعوبهم، و يريدون خدمة الإسلام ـ أن يقوم كلّ منهم باستنهاض شعبه لكي تعثر الشعوب على ذواتها التي فقدتها، فإنّ الشعوب التي فقدت ذواتها ، فقدت بلادها . وإنّ الأفكار التي رسخت في أذهانهم، والمتمثّلة بعدم إمكانية المواجهة مع القوى العظمي، وأنها سوف تعمل كذا وكذا، يجب أن تُزال من عقولهم، أي يجب أن يُزال من عقول الشعوب هذا (اللاممكن) وإحلال (الممكن) محلّه».

ح- المقاومة المسلّحة:

* «..على كلّ مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر توظيف طاقاته وإمكاناته في هذا السبيل [الجهاد] ومن ثمَّ نيل إحدى الحسنيين، إمّا النّصر أو الشهادة. كما ينبغي لكم اقتحام خطوط النار للثأر وإزالة العار وتحقيق النّصر المؤزّر القريب بعون الله ومدده، وبشّر

* «لقد زُرعت جرثومة الفساد (إسرائيل) في قلب العالم الإسلاميّ بدعم من الدول الكبرى، وصارت جذور فسادها تطال الدول الإسلاميّة تدريجيّاً، لذا وجب اقتلاع جذورها بهمّة الدّول الإسلامية والشعوب الإسلامية الكبيرة».

* «إسرائيل غاصبة وعليها أن تغادر فلسطين سريعاً ، والحلّ الوحيد لإعادة الإستقرار إلى المنطقة هو قيام الأخوة الفلسطينيين بأسرع ما يمكن بمحو هذه الجرثومة الفاسدة وقطع جذور الاستعمار».

* «إسرائيل يجب أن تُمحى من صفحة الوجود».

* «على كلّ مسلم أن يعدّ نفسه لمواجهة إسرائيل».

هذا، وكان الإمام الخميني قدّس سرّه، قد أجاز منذ أواخر ستينات القرن الماضي، صرف الحقوق الشّرعية من زكاة وصدقات لدعم المقاومين ضدّ الإحتلال الصهيونيّ.

إذا استحضرنا هذه العناوين مجتمعة، يتضح لنا أنّ إزاحة الشَّاه البهلويّ كانت هدفاً قريباً في ثورة الإمام الخميني، وأنّ الإطاحة به كانت بمثابة تمهيد الأرضيّة وتحويل إيران إلى قاعدة لتبنّي مشروع القضاء على الكيان الغاصب. فقد رأى الإمام كيفٌ أنَّ الأمَّة التي كانت خير أمة أُخرجت للناس، باتت قاب قوسين من الدّرك الأسفل. وعليه، فإنّ خطورة الموقف لا يكفي معها تبنيّ شعارات مجتزأة، ومرحليّة، وقطريّة، بل لا سبيل إلى الخلاص إلا بانتظام الأمّة صفّاً واحداً، والتفافها على محور جامع، منفتح على جميع المستضعفين، تمهيداً لإنقاذ البشرية من براثن الطُّواغيت، والمحور في هذا المسار الجهاديّ التحرّريّ يومُ الفصل الذي اعتبره الإمام يومَ القدس، كما عبّر عنه حين قال: «يوم القدس يوم الفصل. يوم انتصار المستضعفين على المستكبرين».

وهاهو المسار الخميني المبارك قد قطع ـ بحمد الله ـ أشواطاً بعيدة، وحقّق نتائج غير متوقّعة ينعم المستضعفون ببركاتها في أربع رياح الأرض.



يا قدس قادمون